فلا تدعو مع الله أحداً

بقلم الشيخ عبد الله المحمد الغنيمان
المدرس في المعهد الثانوي

قرأت في احدى المجلات الاسلامية قريباً قصيدة مما يسمى بالشعر الحرتحت عنوان « يا سيدي » ولاحظت فيهـا كلاما لا يتناسب وعقيدة الاسلام حيث أن الدعاء هـو مخ العبادة كما في الحديث الذي يرويه الترمذي وغيره وهذا قد وجه ندائه وشكايته الى الرسول طالبا أن يدعوا لنا وأن يبارك لنا كما يقول « يا سيدي يا مصطفى الأله ادع لنا » وكرر هذا المعنى ويقول « يا سيدي شكاية الأتباع للمسود » وهذه شكوى الى رسول الله فيما لا يملكه الا الله ودعاء له ومعلوم ان الدعاء، من أخص العبادة التي لا يجوز صرفها الى غير الله لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لغيره . وقد ذكر الله في كتابه كفر الذين يدعون من دون الله من يزعمون أنهم يقربونهم الى الله زلفى مع اعتقادهم أن الله هو الخالق المتصرف بالكون وحده كما ذكر تعالى دعاء الميت والغائب ونهى عنـه وتوعد عليه قال تعالى « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين » والظلم هنا هو الشرك الذي ذكر تعالى انه لا يغفره ومن مات عليه فقد حرم الله عليه الجنة ولم يستثن أحداًمن المدعوين والرسول صلى الله عليه وسلم هو المبلغ عن الله وقد حذر عن هذا كل التحذير بل نهى عما هو أقل من ذلك بكثير لما قال له رجل ما شاء الله وشئت قال أجعلتني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده وقد قال تعالى « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » ومعروف ما فعله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه قوله « وأنذر عشيرتك الأقربين » وقوله يا بني فلان انقذوا أنفسكم من النار لا اغنى من الله شيئا حتى قال يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا فكيف يجوز بعد هذا أن يجعل صلى الله عليه وسلم واسطة بين الله وعباده في ما لا يقد،

عليه الا الله من دعاء وغيره وقد خاطبه الله تعالى بقوله « فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين » فليتأمل هذا الوعيد المرتب على دعوة غيره وخاطب به تعالى نبيه ليكون ابلغ في التحذير افيظن بالنبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاه عن هذا ويذكر الوعيد عليه ثم يرضى أن يفعله احد معه أو مع غيره كــلا ، ودعوة غير الله تنافي الاخلاص الذي هو دينه ولا يقبل سواه « وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » « ألا لله الدين الخالص » وقد ذكر الله تعالى اختصاصه بالدعاء في قوله « وله دعوة الحق والذين يدعون من دونــه لا لا يستجيبون لهم بشيء » فأخبر أن دعوة الحق له خاصة وما ليس بحق فهو باطل لا يحصل به نفع لمن فعله بل هو ضرر في العاجل والآجل لأنه ظلم في حق الله وفي حق المدعو يبين هذا توعده تعالى من دعا الأنبياء والصالحين والملائكة بقوله « قل ادعو الذين زعمتم مــن دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » نزلت في الذين يدعون عيسى عليه السلام وامه وعزيرا والملائكة باتفاق اكثر المفسرين من الصحابة والتابعين والأئمة فلا يظن عاقل ان الرسول صلى الله عليه وسلم يرضى بشيء قد توعد الله من فعله مع عيسى وامه والعزير والملائكة وكونه صلى الله عليه وسلم افضل الرسل لا يلزم ان يختص دونهم بأمر نهي الله عنه عباده عموما وخصوصا بل هو مأمور أن ينهى عنه ويتبرأ منه كما تبرأ منه المسيح بن مريم عليه السلام كما في الآيات في آخر سورة المائده ١١ الى ١١٨ وكما تبرأت منه الملائكة في الآيات في سورة سبأ ٣٩ الى ٤١ وليعلم ان الدعاء قسمان .

« ا » دعاء الحي الحاضر ما هو في مقدوره واستطاعته كسؤال الدعاء من الغير والنصر والأعانة بما يقدر عليه فهذا جائز باتفاق المسلمين بهذه الشروط والأدلة عليه كثيرة وظاهرة « ب » دعاء الميت والغائب ما لا يقدر عليه الا الله مثل سؤال قضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة الملهوف وهداية القلوب واصلاح الشأن وما أشبه ذلك فهذا من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ولم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله احد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان لا مع الرسول ولا مع غيره وهذا مما يعلم بالضرورة انه ليس من دين الاسلام وبهذا يعلم خطأ القائل « يا سيدي يا مصطفى الأله ادع لنا » وقوله « يــا سيدي شكاية الأتباع للمسود » وأن هذا وما اشبهه مناف لدعوة الرسول والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.